أنا عاطلة عن العمل

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 6 ديسمبر 2020

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

ذات صباح، رن هاتفي: نعم.

قالت المتحدثة: أنت فلان، فقلت: نعم، قالت: عندي مشكلة فهل يمكن الكتابة عنها وتوصليها إلى المسؤولين أيًّا من كان ؟

فقلت: إن كان موضوعك يهم الكثير من الشباب الذين في سنك.

قالت: أنا خريجة منذ عام 2017 وحتى الآن وأنا عاطلة عن العمل، طبعًا سجلت في ديوان الخدمة المدنية منذ تلك اللحظة، وتقدمت بصورة شخصية إلى كل الوزارات تقريبًا، وقدمت أوراقي إلى وزارة العمل من أجل موضوع التعطل وإعانات التعطل، وحتى اليوم لم يتصل بي أحد من أجل أي وظيفة.

أما بالنسبة لموضوع إعانة التعطل فكانت في البداية تصرف بصورة سلسة، إلا أنها بدأت تتقطع بعد فترة، واليوم لي حوالي أكثر من سنة لم أتسلم منهم أي شيء، على الرغم من أني أواظب على المراجع الشهرية وبصورة منتظمة.

جميع زميلاتي اللائي في نفس التخصص قد تم توظيفهم بطريقة أو بأخرى، وأنا حتى الآن لم يتم الاتصال بي ليس من أجل التوظيف فقط وإنما حتى للدورات التدريبية التي تقدمها وزارة العمل، ولا أعرف السبب، وعندما أسألهم عن ذلك يقولون وبكل بساطة «لم يأت دورك بعد».

ذات مرة اتصلت بي سيدة من أحد مراكز تحفيظ القرآن الكريم من أجل وظيفة عاملة استقبال، الواضح من لهجة السيدة أنها من الجالية العربية، فذهبت إلى المقابلة ولم يكن هناك إلا أنا فقط لذلك يبدو أني حظيت بالوظيفة، إلا أن تلك السيدة كانت تحاول استفزازي بكل طريقة، حتى أنها كانت تتلفظ عليّ ببعض الألفاظ البعيدة كل البُعد عن قيم وتعاليم القرآن الكريم، وقبيل نهاية الشهر قالت لي: لا نريدك هنا، هيا اتركي العمل وخذي راتبك ولا تعودي، فخرجت أحمل أذيال الفشل.

زرت كل معارض التوظيف، قدمت أوراقي لجميع المشاركين، إلا أنه لم يتصل بي أحد حتى الآن.

وبصورة يومية أقلب الجرائد المحلية كلها بحثًا عن عمل ولكن لا عمل، وفي المقابل فإنه دائمًا أقرأ تصاريح المسؤولين الإيجابية التي تقول إنه تم توظيف وتعيين عشرات آلاف من المواطنين في الوزارات والمؤسسات، وفي تلك اللحظة أقف مع نفسي وأسأل: طيب أين أنا من ذلك كله ؟ لماذا لا يتصل بي أحد حتى من قبيل الاستعلام على الأقل ؟

أشعر وكأن الدنيا توقفت عند قدميّ وأمام باب بيتي، فالحياة لا تتحرك والهواء أصبح خانقًا، وكل شيء في حياتي متوقف، فماذا أفعل ؟

وبفعل فاعل وبالواسطة وتدخل بعض الأفراد طلبتني إحدى المؤسسات الحكومية للمقابلة الشخصية، وجرت المقابلة من أفضل ما يمكن، وخرجت من المؤسسة وأنا في قمة السعادة، حيث شعرت أني سوف أتوظف في القريب العاجل، ومرت الأيام إلا أنه لم يحدث شيء حتى اليوم، وأنا أسأل نفسي ماذا يحدث ؟

حاولت أن أفتح مشروعًا صغيرًا، وبالفعل وبميزانية صغيرة استقطعتها من مصروفي الخاص الذي يعطيني إياه والدي المتقاعد بدأت في مشروع، ولكن كلها بضعة أشهر حتى شنت علينا جائحة كورونا الهجوم، فتوقف المشروع، ومرة أخرى تساقط كل شيء.

قبل أن نتخرج، وضعنا الكثير من الآمال والأحلام، وكنا قد وضعنا الخطط وكيف يمكن أن تسير بنا الحياة، وكيف يمكن أن نسهم في تطوير مجتمعنا الصغير ومجتمعنا الكبير، وسنعمل كذا ثم نتقدم من الوظيفة الأكثر تطورًا، وهكذا حتى نكون عناصر ناجحة في المجتمع نقدم كل الذي يمكن تقديمه من جهد ووقت، ليتطور المجتمع ونتطور نحن معه، إلا أن أحلامنا تتبخر مع أول ريح تسمى البطالة فهي صخرة الواقع التي كسرت كل حياتنا وحطمتنا اشتاتًا، ونحن اليوم نسأل أنفسنا وكل مسؤول عن هذا:

ألسنا من أهل هذا الوطن ؟ ألم ندرس ونتخرج كما هو المطلوب ؟ فما الذي ينقصنا حتى نعمل كما يقوم بذلك عشرات المئات من البشر ؟

نحن لا نريد أن نتوظف أو أن نعمل كمستشارين أو في الرتب العليا وإنما كل الذي نريده أن نبدأ من بداية السلم، من الوظائف الدنيا عندئذ حتمًا سنتطور، وسنجتهد، حتى نكون وهذا متروك لنا، فهل هذا صعب ؟

وكذلك فأنا لا أريد أن أثير العواطف ولا أريد مواساة، وإنما أريد حلاً لمشكلتي، أريد عملاً أحقق فيه طموحاتي ورغباتي، أريد أن أكرم والدي ووالدتي، أريد أن أكون موجودة في المجتمع لي قيمة، فأنا أشعر الآن أنه لا قيمة لي، ولا حياة، فأنا عالة. أخجل من التحدث مع والدي المتقاعد، ويحمر وجهي خجلاً في بداية كل شهر عندما يمد لي يده ويعطيني المصروف، هل هذا معقول ؟ كيف أتحدث مع والدي وماذا يمكن أن أقول له ؟ أشعر بمرارة في قلبه وضعف شديد حيال الوضع الذي هو فيه، يريد أن يفعل شيئا، أي شيء إلا أنه لا يستطيع، فقد قدمت أوراقي – كما أشرت سابقًا – إلى كل الجهات من غير استثناء، ومع ذلك فإن كل تلك المؤسسات تعجز عن حل مشكلتي أنا فقط، ولا أعرف لماذا ؟

ثم سكتت برهة، شعرت أنها تبكي بحرقة شديدة، وقالت: اسمح لي، لا أستطيع أن أكمل.

قلت: خذي راحتك.

وبعد برهة، قالت: هذه حكايتي وربما حكاية عشرات الشباب والبنات، كيف يمكننا أن نعيش ؟ كيف يمكننا أن نتفاعل مع كل ما يطرح من أنشطة وفعاليات ؟ لا تعتقد أني أبالغ، فأنا لا أعمل، وهذا يعني أنه لا يوجد في يدي مال، وليس لدي حياة، وليس لدي طموح، حياتي لا تبدأ من لحظة ولا تنتهي في لحظة، كل شيء في حياتي أصبح ضبابيًا، فلا حدود ليومي ولا وقتي، كل شيء تحطم مع أحلامي.

أريد أن أوجه سؤالاً واحدًا لا غير لأي مسؤول كان سببًا في مشكلة بطالتي: ترى كيف سيكون شعورك لو كان هذا الوضع حدث لابنتك ؟

باختصار، أنا عالة على نفسي، عالة على والدي المتقاعد، عالة على المجتمع، عالة على كل شيء، أشعر بالإحباط، وللأسف لا يوجد هناك من يسمع صوتي.

ثم أغلقت الخط، هكذا بكل بساطة.

بقيتُ لحظات أسترجع كلماتها كلها، كلمة كلمة، تنهيدة تنهيدة، زفراتها حارة، شابة في عمر الورد، دخلت الجامعة بكل فخر، رُسمت أمام عينيها طموحات رائعة الجمال، وردية، ترى كم مرة فكرت – أثناء دراستها – في مكان العمل الذي ستتوظف فيه ؟ ماذا كان شعور والديها عندما دخلت الجامعة، وعندما اقتربت من التخرج ؟ واليوم ما شعور الأب الذي كان يحلم بتلك البنت التي سوف تتخرج وتعمل وتعيش حياتها ؟

سؤال نوجه إلى أي مسؤول كان سببًا في إحداث مشكلة البطالة في البلاد، ترى كيف سيكون شعورك لو كانت هذه ابنتك ؟

والغريب من الموضوع أن مثل هذه القضايا موجودة ومنتشرة بكثرة، والجميع يحمل همومًا وخاصة هموم العمل، ونحن نعرف أن الأمن الوظيفي جزء أصيل من الاحتياجات الإنسانية، فلماذا لا نعيد التفكير في هذا الموضوع.

علمًا – كما نعتقد – أن مشكلة البطالة لا يمكن أن تُحل إلا بتحويلها إلى أزمة، بمعنى يجب أن تدار على أنها أزمة، أزمة اقتصادية واجتماعية وأنها تحتاج إلى إدارة متكاملة ووضع استراتيجيات وخطط طويلة المدى لإدارتها، فهي لا تدار ولا يجب التعامل معها على أنها مشكلة مؤقتة يمكن وضع بعض الحلول المؤقتة لحلها، فإن التفكير في هذا الموضوع بهذه الطريقة سيزيدها أثقالاً وستتراكم بصورة تدريجية حتى تصبح في وضع يصعب التعامل معه، عندئذ ماذا يمكن أن يحدث ؟

نحتاج إلى التفكير في هذا الموضوع – أزمة البطالة – قبل أن يستفحل ويتحول إلى كارثة.